مجلة الباحث

التداولية في فكر محمد بن علي الصبان (1206هـ) في حاشيته على شرح الأشموني

قصي ثعبان يوسف

الملخص:

هدفت الدراسة إلى بيان أُطر الفكر التداولي عند الصبان، عن طريق الكشف عن اهتمامه بالسياق المقامي، والمتكلّم وما يقصده، وعلاقته بالمخاطب، ومبدأ التعاون بينهما، وعملية التواصل بين محاور العملية التواصلية، والأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة (التضمنية)، وقد اعتمدت الدراسة الموسومة بـ(التداولية في فكر محمد بن علي الصبَّان (1206هـ) في حاشيته على شرح الأشموني) على المنهج الوصفي التحليلي، وتكللت الدراسة بنتائج، منها: تركيز الصبان على أهمية السياق الخارجي في عملية التواصل، وكون المخاطب والمتكلّم يمثلان طرفي عملية التواصل، وأن التعاون بينهما يؤدي إلى نجاحها، وأن وضوح القصد من لدن المتكلّم يؤدي إلى تواصل ناجح مع المخاطب، وأن الإشاريات لها دور كبير في وضوح المعنى كضمير الشأن الذي يحيل على الوجود الخارجي، وأثر الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة (الضمنية) في العملية التواصلية ووضوح المعنى، وهذا ما جاءت به التداولية الحديثة اللسانية في أغلب جوانبهما، وانتهت الدراسة بعد المقدمة، وعرض البحث، بالخاتمة ونتائج البحث، والهوامش، والمصادر والمراجع.

الكلمات الرئيسية: االسياق ،المتكلم والمخاطب ، القصدية ، الإشاريات ، الأفعال الكلامية ،

١. المقدمة

تُعدُّ التداولية اتجاها لغويًا حديثًا تهتم باللغة في مجال التواصل؛ لأن اللغة حلقة مهمة بين المتكلّم والمخاطب في التفاهم المقصود، وما يحيط بها من سياقات نفسية، واجتماعية، وثقافية ترتكز عليها في دعم الشكل اللغوي في بيان المعاني.

التفت العلماء القدامى اللغويون إلى مهمة اللغة التداولية قبل أن تكون التداولية الحديثة أتجاهًا لغويًا يعنى بتحليل مستويات وعلاقات ظواهر اللغة[1]، فتأكيدهم على دور المتكلّم على دور المتكلّم وحالاته ومقاصده في إيصال المعنى إلى المخاطب ومراعاة عدم اللبس، والاهتمام بعلاقة السياق الخارجي (المقام) في كشف المعنى، والخبر والإنشاء، والكناية والاستعارة، والمعنى ومعنى المعنى في إرادة المتكلّم، والسياق الاجتماعي، والنفسي للمتكلمين والمخاطبين ما هو إلَّا دليل على وعي للمفهوم التداولي للغة الذي نادت به التداولية الحديثة، بعد أن أصبحت اتجاها تحليليًا للغة في أغلب جوانبها، فالتداولية الحديثة تعني: ((دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي))[2]، أو هي: ((دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة))[3].

بناءً على ما جاء في تعريف التداولية المذكور آنفًا نجد أن الصبان في حاشيته على الأشموني قد استحضر في فكره عن طريق ما ذكره الكثير من مرتكزات التداولية، من سياق، ومتكلّم ومخاطب، والتعاون الذي بينهما في الحذف خاصة، ومراعاة المتكلّم للمخاطب، والإشاريات الخارجية، والأفعال والأقوال المضمرة

في الاستفهام وغيرها من الأساليب التي تمثل ملامح الفكر التداولي الحديث.

وليس الغاية من هذه الدراسة إسقاط النظرية الغربية التداولية اللغوية في الفكر اللغوي عند العرب، وإنما هو مقاربة وكشف للنمطية التداولية عند العلماء العرب في التراث الموروث، والاستحضار الفكري التداولي للغة عندهم في أغلب جوانب التداولية الحديثة ومفاهيمها.

يعد الاتجاه التداولي اتجاهًا مهمًا في كشف غايات التواصل بين المتكلّم والمخاطب، وبالتالي كشف المعاني المقصودة بشكل دقيق لا لبس فيه؛ مما دفعني إلى جعله محورًا في دراسة الفكر التداولي عند الصبان في حاشيته.

1- السياق: يمثل السياق مرتكزًا وعنصرًا مهما في الدراسات العربية القديمة([4])، وكذا في الدراسات اللسانية الحديثة (التداولية)([5])، مما يعطي أهمية كبيرة للسياق في الكشف عن المعاني المقصودة.

جاء اهتمام محمد بن علي الصبان في حاشيته بالسياق (المقام) أي اهتمام؛ لبيان المعاني المقصودة للتراكيب، فقد ذكر أن تحديد نوع الحرف المحذوف من الآية في قوله تعالى: ((وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ))([6])، مرهونٌ بالسياق الخارجي (سياق الحال)، وأن قرينة سبب النزول تدل على الحرف المحذوف هل هو (في) أو (عن)([7])، وأشار في موضع آخر إلى أهمية السياق الاجتماعي في الاستعمال اللغوي، بقوله: "ولا يبدل مضمر من مضمر أي مطلقا أنه لم يسمع ..." ([8])، أي لم يسمع عن العرب، وهذا في السياق الاجتماعي.

اهتم النحاة القدماء بالسياق، فجاء في كتاب سيبويه قوله: ((وذلك قولك إذا رأيت متوجهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكة وربِّ الكعبة، حيث ذكرت أنه يريد مكة، كأنك قلت يريد مكة والله"([9]). إذ حذف الفعل بدلالة السياق الخارجي، مما يؤكد أهمية السياق في بيان المحذوف من التركيب.

وأشار المبرد إلى أن الحذف يتم بوجود سياق خارجي، بقوله: "ولا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلومًا بما يدل عليه من متقدم خبر أو مشاهدة حال"([10]).

فقد وضّح المبرد في النص المذكور آنفًا أن الحذف يكون بوجود سياق خارجي يدل عليه.

وَبَيَّنَ السيرافي أهمية السياق في بيان المحذوف من التركيب، وبالتالي بيان المعنى، فإذا قلت (مكةَ وربِّ الكعبة)، وأنت ترى رجلًا متوجهًا إلى الحج بهيئة الحج، فإنك تقصد (يريدُ مكةَ وربِّ الكعبة حاجًا)، فالسياق الخارجي يوضّح المحذوف (الفعل)، ويفسر المعنى المقصود([11]).

وذكر الرماني في شرحه للكتاب في باب الحذف للفعل في غير الأمر والنهي، بقوله: ((الذي يجوز فيه إضمار الفعل في غير الأمر والنهي هو الذي عليه دليل يقوم مقام اللفظ بالفعل في غير الأمر والنهي ... وإنما يجوز في غيره إذا كانت الحال المشاهدة تقتضي الفعل، ... ذلك كقولك: (مكةَ واللهِ) بمعنى: يريدُ مكةَ، ودليله هيئة الحاج، ..." ([12]).

أما التداولية في اللسانيات الحديثة فقد اهتمت اهتمامًا كبيرًا بالسياق، بل تعتبر السياق ركنًا أساسيًا في كشف المعنى المقصود عن طريق تعريف التداولية واهتمامها بالسياق الخارجي والمقامي، فـ((التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية)) ([13]).

وبيّن جواد ختام في نقده للنظرية البنيوية لدى سويسير أن التداولية لم تكتفِ بالمستوى الخطي الذي نادت به البنيوية، بل ذهبت إلى أن الكلام ليس ممارسة للغة تطبيقًا، بل إن المستوى اللغوي يعتمد على السياق، وإن فهم المعنى يعتمد إلى جانب فهم البنية التركيبية والصوتية للكلمات المنطوقة فهم المؤثرات الخارجية المحيطة بالملفوظات والداخلة في العملية التواصلية، من متكلم وقصديته، والزمان والمكان الذي قيل فيه الكلام، والاقتضاء، والتضمن، وغيرها من العوامل الخارجية لفهم المعنى([14]).

ذهب محمود أحمد نحلة في توضيح اتجاهات مستوى المعنى إلى ثلاثة مستويات:

الأول: المعنى اللغوي، وهو ما يضمه التركيب الحرفي للجمل والكلمات، والثاني: معنى الكلام السياقي، والثالث: المعنى المستتر (الموجود بالقوة) أي: المعنى الذي يقصده المتكلم، فإذا قال قائل: أهذه سيارتكَ؟، فحصر التركيب يقتضي في سياقه وجود سيارة مشار إليها، والضمير (الكاف) في التركيب يعني أنك تمتلك للسيارة، فالمستوى الأول للكلام يعني ملكك للسيارة بالإشارة إليك، وأن السؤال يُراد منه الجواب بنعم أو لا، أو أن القصد يخرج إلى معنى آخر (مجازي) كالتعبير عن اللوم؛ لأن سيارتك كانت مانعًا أمام مرور السيارات الأخرى في الطريق؟ وهذا مقصود المتكلم الحقيقي والمراد للمعنى، فالتداولية للخطاب تبحث في مكنونها عن قصد المتكلم ونواياه، والسامع (المتلقي)، والسياقات الأُخرى المحيطة (مادي، واجتماعي، ولغوي) وكل ما يفسر المعنى المقصود([15]).

وجاء في كتاب (في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء) التأكيد على ما قامت عليه التداولية من علاقات المتكلّم

بالمخاطب، والأثر الاجتماعي، ووسائل التعبير عن مقاصد المتكلم، وما يعتقده، ورغبته، وأهمية السياق (المقام) من ظروف محيطة بالمتكلم من حال، وزمان، ومكان، وأثر ذلك مجتمعًا في بيان المعنى المقصود([16]).

يتبيَّن مما تقدم ذكره أن الصبان كان حاضرًا في فكره النحوي أهمية السياق الخارجي في بيان المعنى المقصود لدى المتكلّم، وبيان معنى التراكيب النحوية، وجاء هذا بما نادت واعتمدت عليه التداولية الحديثة في بيان المعنى المقصود باعتمادها على أهمية السياق الخارجي ودوره في وضوح المعنى الحقيقي والمراد من لدن المتكلم.

2- المتكلم والمخاطب:

استحضر علماء النحو القدماء أهمية المتكلّم والمخاطب في بيان المعنى للتراكيب النحوية في مؤلفاتهم، وكذا اهتمت التداولية على وجه الخصوص في اللسانيات الحديثة بهما؛ لأنهما يمثلان حلقة التواصل الخطابية.

بيّن الصبان أهمية مراعاة المتكلّم للمخاطب في تأخير الخبر، بقوله: ((والذي يؤخر ويجعل خبرا هو ما يجهل المخاطب اتصاف الذات به فإذا عرف المخاطب زيدًا بعينه واسمه وجهل اتصافه بأنه أخوك قلت زيدٌ أخي، وإذا عرف أن لك أخًا وجهل عينه واسمه قلت أخي زيدٌ)) ([17]).

ذكر سيبويه أهمية علم المخاطب بالحذف في باب المستثنى، بقوله: ((وذلك قولك: ((ليس غيرٌ، و((ليس إلَّا))، كأنه قال: ليس إلَّا ذاك وليس غيرُ ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفًا واكتفاءً بعلم المخاطب ما يعني)) ([18]).

وبيّن المبرّد أهمية مراعاة علم المخاطب من لدن المتكلم في الحذف بقوله: ((وقال قوم الخبر محذوف؛ لعلم المخاطب، كقول القائل عند تشديد الأمر: إذا جاء زيدٌ، أي إذا جاء زيدٌ علمت؛ وكقوله: إن عِشتُ، وَيكِلُ ما بعدَ هذا إلى ما يعلمه المخاطب. كقول القائل: لو رأيت فلانا وفي يده سيفٌ)) ([19]).

وجاء في حواشي كتاب سيبويه مراعاة علم المخاطب بالمحذوف، قوله: ((قال سيبويه قوله ... بعد اللتيا واللتيا واللتي)) ([20]).

... حذف الصلة من (اللتيا) وما بعده لعلم المخاطب بما يعني؛ لأنه قصد تعظيم الشيء، أي بعد (اللتيا عظمتْ)) ([21]).

وأشار الرماني في شرحه إلى مراعاة علم المخاطب بالحذف، بقوله: ((وتقول: (ما أتاني القومُ ليس زيدًا)، و... وهو يشبه الجواب من جهة أن المخاطب بمنزلة من قال (بعضُهُم زَيْدٌ)؛ لوقوع ذلك في نفسه، فكأنَّ المتكلم قال: (ليس بعضهم زيدًا)) ([22]).

أما في اللسانيات الحديثة (التداولية) فقد اهتمت بالمتكلم والمخاطب في عملية التواصل، وجعلت التعاون بينهما عنصرًا مهمًا في وضوح المعنى المقصود.

أكّد غرايس أوستن على مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، عن طريق القواعد الضمنية التي تمثل حلقة التواصل بينهما، وانعدام هذه القواعد يحول دون تحقق التواصل، ومبدأ التعاون يضم (الكم، والكيف، والإفادة، والجهة) ([23]).

وذهب جواد ختام إلى العلاقة المهمة بين المتكلم والمخاطب من حيث التأثر والتأثير في العملية التواصلية، رابطًا الأمر بالاستجابة من عدمه بالمخاطب، وقدرة المتكلم على إيصال ما يريده إليه([24]).

يتضح مما تقدّم ذكره أَن المتكلم والمخاطب كانا حاضرين في ذهن الصبان من حيث الأهمية في عملية التواصل، وأن بيان المعنى يعتمد بشكل كبير على التعاون بين المتكلّم والمخاطب، وهذا ما جاءت به الدراسات التداولية، بل جعلت المتكلّم والمخاطب وخرق مبدأ التعاون من أساسياتها.

القصدية:

تمثل القصدية لدى المتكلم من الأمور المهمة في عملية التواصل مع المخاطب، وقد اهتمت الدراسات القديمة في التراث العربي بمراد المتكلّم؛ لبيان المعنى ووضوحه، وكذا اهتمت اللسانيات الحديثة (التداولية) بقصد المتكلّم الذي يريد إيصاله للمخاطب.

جاء في حاشية الصبان التأكيد على أهمية القصدية في بيان المعنى، بقوله: ((قوله: (فإنه يتعيّن رفعه) أي عند عدم قصد المتكلم جعله حالاً من ضمير معمول المصدر المستتر في الخبر فإن قصد ذلك وجب النصب وذكر الخبر بأن يقال ضربي زيدًا إذ كان شديدًا أو ضربه شديدًا، ... (فلا يجوز ضربي زيدًا شديدًا) بل يجب الرفع عند قصد الخبرية والنصب وذكر الخبر عند قصد الحالية ...)) ([25]).

بَيَّن سيبويه أهمية إرادة المتكلم في بيان المحذوف وأثره في المعنى، بقوله: ((ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جدّه: ((وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا))([26]).

إنما يريد: أهل القريةِ، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لو كان ها هنا))([27]).

يتضح من النص المذكور آنفًا أن فهم المخاطب لمراد المتكلّم له أهمية في التواصل وبيان المعنى المقصود.

وجاء في المقتضب في بيان المحذوف وتقديره مرهون بفهم إرادة المتكلم، بقوله: ((وقد يحذف الفعل ... وذلك قولك: رأسكَ والحائطَ، ورأسَهُ والسيفَ يا فتى ... ودلَّ على المحذوف بما يشاهد من الحال. ومن أمثال العرب ...((أهلكَ والليل، وقد دلَّ هذا على أنه يريد: بادر أهلكَ والليلَ)) ([28]).

بَيَّن المبرد في النص المذكور آنفًا أَن للسياق أهمية في بيان قصدية المتكلم، وعليه فسّر المحذوف.

وذكر ابن جني أهمية إرادة المتكلّم وقصده في الكلام، بقوله: "وقد حذف المميَّز، وذلك إذا علم من الحال (حكم ما) كان يعلم منها به، وذلك قوله: عندي عشرون، واشتريت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين، فإن لم يعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلّم الإبانة، فإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلّم، وعليه مدار الكلام فاعرفه"([29]).

أمّا التداولية فقد اهتمت اهتمامًا كبيرًا بقصدية المتكلّم، وبينه ان عملية التواصل بين المتكلّم والمخاطب تقوم على جزء كبير في فهم قصد وإرادة المتكلّم من لدن المخاطب.

فأكّد أوستن على محورية القصدية الخاصة بالمتكلّم في عملية التواصل مع المتلقي، وبيان المعنى المقصود من لدنه، وأن القصدية تتضح عن طريق السياقات الكلامية، وغير الكلامية([30]).

وَبَيَّنَ محمود أحمد نِحلة أن المتكلّم إذا أطلق الكلام نحو المتلقي فهو يقصده، وهذا القصد ثابت عنده، تجليه السياقات التي تحيط بالكلام، مما يعين المتلقي على فهم القصد، وبالتالي وضوح المعنى المراد، ويرتبط وصول قصده إلى السامع بمدى الوعي الثقافي من لدنه؛ لأن المتلقين يختلفون ويتفاوتون في المستوى العقلي، والأداء اللغوي، والذخيرة الثقافية([31]).

فالتداولية تهتم بما يتعلّق بالمتكلّم من قصدية؛ لأن المتكلّم فيها يمثل ركنًا أساسيًا، فإرادته عند إصداره اللفظ عنصر مهم في وضوح المعنى المقصود والهدف من الخطاب، فالتواصلية بين المتكلّم والمخاطب يمثل قصد المتكلّم جزءًا كبيرًا منها، وهو ما يبحث عنه الطرف الآخر، ويسوق كل إمكانياته لفهمه([32]).

يتّضح ممّا تقدّم ذكره أن فكر الصبان قد كان مهتما بشكل كبير بإرادة وقصد المتكلم، وربطه بالمخاطب ووضوح المعنى لديه عن طريق فهم القصدية، وهذا ما أكدت عليه التداولية في أهمية مقاصد المتكلّم واهتمام المتلقي في فهم هذه القصدية؛ لكي يتضح المعنى المراد([33]).

4-الإشاريات:

تشكل الإشاريات جانبًا مهما من جوانب التداولية، وقد اهتمت الدراسات اللغوية العربية التراثية بها بشكل كبير.

بَيَّن الصبان في حديثه عن معنى ضمير الشأن حين وقوعه خبرًا للمبتدأ، وأَنه يدل على القصة والحديث في معناه وإحالته الخارجية([34]).

وضّح سيبويه فيما يحيله المضمر من حديث ليس موجودًا في التركيب ظاهرًا، قوله: "ومما يضمر لأنه يفسره ما بعده ولا يكون في موضعه مظهر قولُ العرب: إنه كرامٌ قومُك، وإنه ذاهبةٌ امتُك. فالهاء إضمارُ الحديث الذي ذكرت بعد الهاء، كأنه في التقدير – وإن كان لا يتكلم به- قال: إن الأمرَ ذاهبة أمتك وفاعلة فلانة، فصار هذا الكلام كله خبرًا للأمر، فكذلك ما بعده هذا في موضع خبره "([35]).

وبَيَّن ابن السراج ما يحيل إليه الضمير (ضمير الشأن) من حديث أو قصة خارجية، بقوله: "فإن أضمرت في كان الأمر أو الحديث أو القصة وما أشبه ذلك وهو الذي يقول له: المجهول، كان ذلك المضمر اسم كان وكانت هذه الجملة خبرها،..." ([36]).

وذكر ابن جني ضمير الشأن والقصة في قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))([37])، وكذا في قوله تعالى: ((فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ))([38])، وأن للهاء في (فإنها) ضمير الشأن والقصة، ورفض أن تكون الجملة بعد الضمير تفسيرا له؛ لأنه يؤدي إلى بقاء الضمير دون تفسير؛ ولأنه يلزم أن يكون للفعل الخارجي (القصة) ما لا دليل عليه، ممّا يؤدي إلى بطلان إضماره([39]).

وممّا تقدّم ذكره يتبيَّن أن الضمير يشير إلى أمر خارجي (قصة) أو (حديث)، أحال إليه الضمير (الشأن) أو (القصة).

أما التداولية فقد اهتمت كثيرًا بالإشاريات؛ لما لها من دور كبير في تحليل الكلام وتحقيق التواصل، وعلى رأسها الإشاريات الشخصية من خمسة أنواع من الإشاريات التداولية([40]).

وضح محمود أحمد نحلة أهمية الإشارة في التداولية، وأشار إلى خمسة أنواع من الإشاريات، هي: (الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية، والخطابية)، وَبَيَّن أن الإشاريات الشخصية تعد من أهم الإشاريات؛ لوضوحها في الدلالات الكلامية، كضمائر الحاضر، والمخاطب، والغائب إذا أُحيلت على الخارج اللغوي ، فبها يُعرف المتكلّم من المخاطب، ويحدد سياقات الكلام ([41]).

وأظهر جواد ختام تعلّق الإشاريات الشخصية، والمكانية، والزمانية بالتواصل التداولي للكلام، ويشترط في الإشاريات التواضع، فالضمير (المتكلّم) (أنا) يبقى مبهما ما لم يوضّحه ويربطه السياق المعلوم

لدى المتلقي، وكذا (الآن) الزماني، و(هنا) المكاني([42]).

وركّز محمود عكاشة على ربط الإشاريات (الشخصية، والزمانية، والمكانية) بعملية التواصل بين المتخاطبين، عن طريق فهم السياقات التي قيلت فيها، فمقاصد الخطاب تتعلّق كثيرًا بهذه الإشارات؛ لأنها توضح المعنى المقصود وتوصله إلى المخاطب بشكل بَيّنٍ لا لبس فيه، فالإشاريات الشخصية (الضمائر) تفيد التوكيد والاختصار في اللفظ؛ لأنها تغني عن حضور المشار إليه في اللفظ، وكذا الزمانية والمكانية([43]).

يتبيَّن ممّا تقدّم ذكره أن الصبان كان حاضرًا في فكره أهمية الإشاريات (الشخصية) المتمثلة بضمير الشأن (للغائب) وأهميَّتة في عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب، وأنه ما أكدت عليهِ التداولية الحديثة .

5- الأفعال الكلامية:

تمثل الأفعال الكلامية مركزية ومحورية في كثير من قضايا التداولية، فالتأثير للملفوظ هو ما تبحث عنه التداولية([44]).

كان فكر الصبان يعي أهمية التراكيب النحوية المباشرة وغير المباشرة، فأسلوب التقديم والتأخير تترتب عليه المعاني، بقوله: ((ومن مواضع وجوب التقديم ما لو قرن المبتدأ بفاء الجزاء نحو: أما عندك فزيدٌ، أو كان تأخيره يخل بفهم المقصود نحو: لله درُّكَ فإنه لو أُخر لم يفهم منه التعجب ...))([45]).

ومن الأفعال غير المباشرة الاستفهام الخارج لأغراض بلاغية، قوله: ((والأكثر كونها للتقرير أي حمل المخاطب على الإقرار أي على الاعتراف بالحكم الذي يعرفه من إثبات كما في ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ))([46])،أو نفي كما في: ((أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ))([47]))) ([48]).

أشارت كتب البلاغة إلى الخبر والإنشاء، والكنايات والاستعارات ن إذ تصب هذه في مفهوم الأقوال المباشرة وغير المباشرة، فابن سنان الخفاجي وضّح " أن الاستعارة في معناها هي وضع التراكيب على غير ما وضعت له والغرض توضيح المعنى المقصود، ففي قوله تعالى: ((واشْتَعَلَ الرأسُ شيبًا))([49]) استعارة من النار للشيب شيئًا فشيئًا في الرأس "([50]).

وهذا قول غير مباشر، أي لا يراد به المعنى اللفظي، بل المعنى الضمني للقول، يفهم من سياقات الكلام من لدن المتلقي.

وذكر الجرجاني في دلائل الإعجاز مفهوم الكناية وإرادة المتكلّم ، فعن طريقها يتم توضيح معنى من المعاني، فيتجاوز اللفظ ومعناه إلى معنى مضمّن له، وهو المراد والمقصود، محال إلى الخارج الوجودي، يفهم من السياق الخارجي المتواضع عليه والمعروف اجتماعيًا، مثال ذلك، قولك: (هو طويلُ النجادِ)، أي: يريدون طويل القامة، وقولك: (كثيرُ رمادِ القدرِ)، أي: كريم كثير القِرَى، فاللفظ الخاص المفسِّر لم يذكر المقصود به، بل ذكر بلفظ ومعنى آخر مضمَّن له، فإذا طال النجاد طالت القامة، وإذا كثر الكرم والقِرى كثر رماد القدر([51]).

فتبيَّن من النص المذكور آنفًا أن الكناية تمثل الأقوال غير المباشرة، وتمثل معنى مضمَّن مشار إليه ومومى إليه عن طريقها.

أما التداولية فقد اهتمت أهتمامًا كبيرًا بالأقوال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، والمعاني المضمَّنة والمقصودة([52]).

فركّزت التداولية بشكل كبير على الأقوال غير المباشرة والاستعارات ، فتحليل القول الحرفي وما يراد منه يمثّل مركز اهتمام التداولية، فالتعبير عن معاني ضمنية يهدف المتكلمون لها متجاوزين اللفظ الظاهر عن طريق التلميح، والسخرية، والاستعارة هو مغزى التداولية، فقولك: (هل تستطيع أن تناولني الملح)، استفهام لا يراد به الجواب، بل يراد به تمكين المتكلّم من لدن المخاطب من الملح، وهو فعل لا قولي، حصل بشكل غير مباشر، وهذا ما وضّحه سورل، وهذا قول غير مباشر ومعنى ضمني يراد إيصاله([53]).

ووضّح جواد ختام الأفعال الكلامية عند أوستن وسورل في التداولية، وكيف تحتل أهمية كبيرة فيها، فقد بَيَّنَ أوستن ان الأفعال الكلامية الملفوظة نوعان: تقريرية وصفية، تخضع لمعيار الصدق والكذب، وأخرى ملفوظات إنجازية، ولها شروط معينة، وقد تكون إنجازية تقريرية أو غير تقريرية (مضمرة)، فقولك: (السماءُ تمطرُ)، فلها ظاهر وصفي، وآخر إنجازي، أي: أُحذرك من أن السماء ستمطر، وهو قول غير مباشر مضمر، وطور جون سورل هذه النظرية (الأفعال الكلامية) لاستاذه أوستن؛ لأنه أفاد مما وجّه من انتقادات لما جاء به أوستن، وأكَّد على الأفعال المباشرة وغير المباشرة([54]).

يتَّضح ممَّا تقدَّم ذكره أن الصبان كان حاضرًا في فكره الأقوال المباشرة وغير المباشرة خاصةً، متمثلة في الأقوال الإنشائية، وكذا عند العلماء في التراث العربي، وهذا ما أكدت عليه التداولية بشكل ممنهج ومنظّم بالنسبة للأقوال الكلامية المباشرة وغير المباشرة.

المناهج الكمية أو النوعية لاستخلاص النتائج. تضمن هذه العملية العلمية تقديم حجج مدعومة بالأدلة، مما يؤدي إلى استنتاجات موثوقة.

٤. الأطر النظرية والتطبيقية

يهدف الإطار النظري إلى ربط البحث بالنظريات العلمية الراسخة، بينما يُركز الإطار التطبيقي على كيفية توظيف هذه النظريات في الواقع العملي. يعزز هذا النهج من التكامل بين الجوانب المفاهيمية والتطبيقية للبحث. يهدف الإطار النظري إلى ربط البحث بالنظريات العلمية الراسخة، بينما يُركز الإطار التطبيقي على كيفية توظيف هذه النظريات في الواقع العملي. يعزز هذا النهج من التكامل بين الجوانب المفاهيمية والتطبيقية للبحث. يهدف الإطار النظري إلى ربط البحث بالنظريات العلمية الراسخة، بينما يُركز الإطار التطبيقي على كيفية توظيف هذه النظريات في الواقع العملي. يعزز هذا النهج من التكامل بين الجوانب المفاهيمية والتطبيقية للبحث. يهدف الإطار النظري إلى ربط البحث بالنظريات العلمية الراسخة، بينما يُركز الإطار التطبيقي على كيفية توظيف هذه النظريات في الواقع العملي. يعزز هذا النهج من التكامل بين الجوانب المفاهيمية والتطبيقية للبحث.

٥. الخاتمة

اهتم العلماء في التراث العربي اللغوي ببيان المعاني وكشفها للمتلقي من لدن المتكلّم، وكل ما يتعلق بالعملية التواصلية بينهما من سياقات لغوية وغير لغوية (خارجية) كسياق المقام والسياق الاجتماعي وغيره، وبعدما جاءت به هذه الدراسة من مقاربة في الفكر لدى الصبان مع ما جاءت به التداولية الحديثة في بعض جوانبها التواصلية، خرجت الدراسة بنتائج، منها:

1- اهتم الصبان في فكره بالسياق الخارجي الذي يشكّل أهمية كبيرة في عملية كشف وإيصال المعنى بين المتكلّم والمخاطب، وهذا يمثّل مرتكزًا مهما في عملية التواصل التداولي الحديث.

2- المتكلّم والمخاطب يمثلان طرفي العملية التواصلية في الخطاب، فقد ركز الصبان على بيان هذين الطرفين، وكل ما يتعلّق بهما من جانب، ومن جانب آخر بالمعنى، وهما يمثلان في التداولية طرفي العملية التواصلية، والتعاون في فهم المعاني.

3- استحضر الصبان مفهوم القصد لدى المتكلّم وما له من دور مهم عند المتلقي (المخاطب) ، وفي فهمه في الكشف عن المعنى المراد، وقد ركّزَت التداولية على القصدية؛ لما لها من دور مهم في كشف المعاني المقصودة من لدن المتكلّم إلى المخاطب.

4- بيَّن الصبان دور الإشاريات كمفهوم مهم في بيان التواصل كضمير الشأن وما يحيله على الخارج من معنى، وهو ما جاءت به التداولية لبيان إحالة الإشاريات على السياق الخارجي.

5- وضح الصبان مفهوم الأفعال الكلامية عن طريق استحضاره للأقوال المضمرة (غير المباشرة) للألفاظ، في باب الاستفهام الانكاري والنفي، والتداولية قد بيَّنت الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة ودورها في بيان المعنى.

٦. المراجع

* **القرآن الكريم**

1. الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول ، ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن ، وجدار الكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، 2007 م .
2. الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج (ت 316 هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417 هـ - 1996 م.
3. آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دط، دار المعرفة الجامعية، د.م ، 2002م.
4. التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2014م.
5. التداولية أصولها وأتجاهاتها، جواد ختام، ط 1 ، كنوز المعرفة، عمان، 2016م.
6. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، د.ط، دار الطليعة، بيروت، د.ت.
7. التداوية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلاشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007م.

8. التفسير التداولي عند سيبويه للقضايا النحوية، فوزية عبدالله علي خر يشا، دط، مجلة كلية اللغة العربية – الزقازيق، 2015.
9. حاشية الصبان ، لمحمد بن علي الصبان الشافعي (ت 1206 هـ) على شرح الأشموني لعلي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت 918 هـ) على ألفية بن مالك ، إبراهيم شمس الدين ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2008م.
10. حواشي كتاب سيبويه ، لأبي علي الفارسي وأبي القاسم الزمخشري وأبي عبد العزيز العُيوني ، تحقيق : سليمان بن عبد العزيز العيوني ، ط1 ، دار طيبة الخضراء ، الرياض، 2021م .
11. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحقيق محمد علي النجار، ط1، المكتبة التوفيقية، د م ، 2015م.
12. الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي ، منى فهمي محمد غيطاس ، دط ، الدراية ن القاهرة ، 2015 م .
13. ديوان العجاج ، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي ، شرحه : عزة حسن ، دط ، دار الشرق العربي ، بيروت لبنان – حلب سورية ، 1995 م .
14. سر الفصاحة، لأبي عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، تحقيق: مصطفى أبو الحجاج محمد النجار، د ط ، المكتبة الأزهرية للتراث، د م ٢٠١٨م.
15. شرح كتاب سيبويه، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت384هـ) ، دراسة وتحقيق : شريف عبد الكريم النجار، تقديم عياد عبد الثبيتي ، ط1 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ودار السلام، القاهرة – مصر ، 2021م .
16. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت 368 هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1429 هـ - 2008 م.
17. في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء ، كريم حسين ناصح الخالدي ، ط 1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ، 22 20م .
18. كتاب دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت 471 أو 474 هـ) ، تحقيق : أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط 3 ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية في مصر ، في مصر و دار المدني بجدة، 1992 م.
19. الكتاب كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمر بن عثمان قنبر (ت 180 هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2004 م .
20. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، د ط، عالم الكتب، بيروت – لبنان، 2010 م.
21. النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والأداة والمبادئ، محمود عكاشة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م.

- الرسائل والأطاريح الجامعية :
- الأبعاد التداولية في مقامات الحريري ، ماجستير ، الطالب : النذير ضبعي ، إشراف : د. فوزية دندوقة ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، 2014 م .
- السور المسبحات دراسة تداولية ، ماجستير ، محمد شمخي جبر ، إشراف

: حسـن خميس الملخ ، جامعة آل البيت ، 2015 م .

- البحوث :
- أبجـديـات في آليـات التحليـل التـداولي للنصـــوص التراثية ، أ. حنان فلاح ، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية / العدد الثاني ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو .
- آليــات تطبيق المنهج التــداولي على النص التراثي ، د. هاجر مدقن ، جامعة ورقلــة ، الجزائر ، الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب ، 26-27 أكتوبر 2011 .
- الفكر التداولي عند الســهيلي (ت 581 هـ) ، دراسة لغوية ، د. فاطمة عبد الله ناصر المازمي ، كلية التربية الأساسية .

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract:

The study aimed to clarify the frameworks of Al-Sabban's pragmatic thought by revealing his interest in the situational context, the speaker and their intentions, their relationship with the addressee, the principle of cooperation between them, the communication process between the axes of the communication process, and direct and indirect (implicit) speech acts. The study, entitled "Pragmatics in the Thought of Muhammad ibn Ali Al-Sabban (1206 AH)," in his commentary on Al-Ashmouni's commentary, relied on the descriptive and analytical approach. The study yielded results, including: Al-Sabban's emphasis on the importance of the external context in the communication process, the fact that the addressee and the speaker represent the two parties of the communication process, and that cooperation between them leads to its success. Clarity of intent on the part of the speaker leads to successful communication with the addressee. Indicative expressions play a major role in the clarity of meaning, such as the subject pronoun, which refers to external existence, and the impact of direct and indirect (implicit) speech acts on the communication process and clarity of meaning. This is what modern linguistic pragmatics has brought to the fore in most aspects. The study concluded after the introduction. Presentation of the research, including the conclusion, research results, footnotes, sources and references.

قائمة الهوامش:

[1]() ينظر: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: 276-277، التفسير التداولي عند سيبويه للقضايا النحوية: 1716-1718.

[1]
([2]) التداولية من أوستن إلى غوفمان: 18-19.
([3]) الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: 264.
([4]) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: 52-53.
([5]) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: 18.
([6]) النساء: 127.
([7]) ينظر: حاشية الصبان: 132/2.
([8]) م.ن: 192/3، وينظر: 199/3.
([9]) كتاب سيبويه: 257/1.
([10]) المقتضب: 81/2.
([11]) ينظر: شرح السيرافي للكتاب: 155/2-156.
([12]) شرح الرماني للكتاب: 462/1.
([13]) التداولية من أوستن إلى غوفمان: 18.
([14]) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: 55-56.
([15]) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 13-14.
([16]) ينظر: في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء: 386-387.
([17]) حاشية الصبان: 307/1.
([18]) كتاب سيبويه: 344/2-345.
([19]) المقتضب: 79/2.
([20]) هم للعجاج ، لم أقف عليه في ديوانه ، ينظر: كتاب سيبويه : 2 / 347 ، والمقتضب : 2 / 389 .
([21]) حواشي كتاب سيبويه: 709/2.
([22]) شرح كتاب سيبويه للرماني: 1500/2.
([23]) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: 85، التداوليات علم الاستعمال: 45-46.
([24]) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: 91.
([25]) حاشية الصبان: 323/1.
([26]) سورة يوسف: 82.
([27]) كتاب سيبويه: 212/1.
([28]) المقتضب: 215/3.
([29]) الخصائص: 402/2.
([30]) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: 96.
([31]) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 89.
([32]) الخطاب والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي: 154-155.
([33]) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية): 31-32.
([34]) ينظر: حاشية الصبان: 288/1-289.
([35]) كتاب سيبويه: 176/2.
([36]) الأصول في النحو: 86/1.
([37]) سورة الإخلاص: 1.
([38]) سورة الحج :46.
([39]) ينظر: الخصائص: 174/1.
([40]) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 15-17.
([41]) ينظر: م.ن: 17-18.
([42]) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: 76-77.
([43]) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية): 84-85.
([44]) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: 40.
([45]) حاشية الصبان: 313/1.
([46]) سورة الانشراح: 1.
([47]) سورة المائدة: 116.
([48]) حاشية الصبان: 11/4-12.
([49]) سورة مريم: 4.
([50]) سر الفصاحة: 178.
([51]) ينظر: دلائل الإعجاز: 66.
([52]) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: 96-97.
([53]) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: 68-69.
([54]) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: 86-97.